تقرير

عن برامج التعليم فى المدارس المصرية

(٢)

أهمية دور الطفولة فى التربية

يولد الطفل وكل عدته العقلية هى مجموعة ميول واستعدادات ورثها عن آبائه ، وليس فى عقله أية فكرة عن البيئة الخارجية . وكل ما يدخل الى عقله انما يدخل من طريق الحواس[1] . فالصور الحسية التى تصل الى العقل هى مواد البناء التى تبنى منها كل الحياة العقلية . لأن العقل ليس من شأنه خلق الافكار أو الصور ، بل كل ما يستطيعه هو حفظ الصور التى دخلت اليه من طريق الحواس ، وموازنة بعضها ببعض ، وتنظيمها فى مجموعات ، والاستنباط منها ، وترتيبها فى أشكال غير التى دخلت عليها فتتكون منها أخيلة جديدة ، وإذن فكل فكرة ينتجها العقل لا بد أن تتولد فى الأصل من الصور الحسية الموجودة فيه . وبقدر وفرة هذه الصور الحسية ودقتها يكون اتساع مجال الحياة العقلية للانسان ودقتها . ولذا كان من الأمور الهامة فى التربية مساعدة الطفل على جمع أكبر مقدار ممكن من الصور الحسية النافعة . وعهد الطفولية هو العهد الذى أعدته الطبيعة الانسانية لذلك . وإن اغفال

---

(١) راجع كتاب "The Teacher's Handbook of Psychology" by Professor Sully : p. p. 90-93, p. p. 107-108, p.p. 253-254 etc etc.

هذه القاعدة لهو هدم للتربية من أساسها

يقول الاستاذ « سكلى »[1] : « إن من النتائج الجليلة القيمة التى أنتجتها تعاليم التربية الحديثة أنه من العبث أن يحاول المدرس الاندفاع بالطفل فى ميدان الدراسة النظرية من نحوية وغيرها . وإن تهذيب الفهم يجب أن يبدأ بتدريب الطفل تدريباً منظماً على الملاحظة بالحواس. وأن الوقت الذى يخصص لهذا القسم الأساسى من الأعمال المدرسية يعوضه ، وزيادة ، ما يكسبه الطفل من المواد العقلية التى ادخرها . فهذه المواد الاساسية تزيد فى سرعة كل العمليات الفكرية الراقية وتجعل نتائجها أعم وأكثر قيمة »

برنامج التعليم الابتدائى

ولننتقل الآن الى برنامج المدرسة الابتدائية . فماذا ترى ؟ ترى المنظر بعينه : فليس التعليم الابتدائى إلا نظاماً للرياء العقلى كالتعليم الأولى سواء بسواء : يكدون فى تحفيظ الولد ألفاظاً . ويظنون أنه يكتسب معارف . والولد لا يستطيع إدراك المعانى التى وراء ألفاظهم لأنها لا تناسب الحالة العقلية التى وصل اليها

أنظر الى تعليمهم لموضوع من ألذ الموضوعات ، وأقربها الى متناول الطفل : وهو علم الجغرافية . أى تلميذ يستطيع وهو فى سن السابعة أو الثامنة أن يفهم التعاريف التى يشحنون بها ذاكرته ؛ القارة ،

---

(١) Ibid. : p. 86.

والمملكة ، والجمهورية ، والمستعمرة ، والهضبة ، والواحة ، وخط تقسيم المياه ، والأدلة على كروية الارض ! هذه هى المعانى التى يحاولون ادخالها الى عقل الطفل فى السنة الأولى أو الثانية الابتدائية !! ثم يتبعونها ، أو يصحبونها ، بسلاسل أسماء لبلدان وقارات ، وخلجان ومحيطات فى الطرف الآخر من المعمورة . فلمَ كل هذا ؟ لمَ لا يدرس الولد البيئة المحيطة به مباشرة ؟ لمَ لا يدرس الشارع الذى يوصل الى مدرسته ، والبلدة التى يقطنها ، والترعة التى تروى مزارع والده ، والتل الذى لا يبعد عنه مسير نصف ساعة ، والنهر الذى يشرب منه ، وحالة القوم الذين يعيش فى وسطهم ؟

ثم أنظر الى تعليم الهندسة ، وهى اذا عامت بطريقة مناسبة للطفل لا تقل لذة وفائدة عن الجغرافية . ولكنها فى مدارسنا كابوس ثقيل ، لأن التلميذ لا يخرج فى دراستها عن النقط والخطوط ، وهى أشياء معنوية لا يستطيع إدراكها فى ذلك الدور من أدوار حياته العقلية . ولو أنه بدأ من أول حياته المدرسية بدراسة الأجسام الهندسية التى يقع نظره عليها لكان للهندسة شأن آخر

ويظهر أن وضع البرنامج الابتدائى بنى على خطأ عام : وهو الاعتقاد بأن الترتيب المنطقى الذى يوضع عليه العلم بعد اتمام دراسته هو الترتيب الذى يجب أن يراعى فى تعليمه للطفل . فتبدأ دراسة كل علم بالتعاريف الأولية . ولكن هذا منافٍ لقوانين علم النفس . وإن الفكرة الأولية منطقياً ، كالنقطة فى الهندسة ، لا يتوصل اليها

العقل إلا بعد سلسلة عمليات صعبة تنتهى بالاستخلاص (abstraction). وهذا هو آخر مظهر من مظاهر الحياة الفكرية ، ولا يسهل على التلميذ إلا فى دور الفتوة . فدراسة التعاريف الأولية فى سن مبكرة لا تناسب الحالة العقلية للولد

بعد هذا ننظر الى دراسة الحساب ، وهو العلم الذى يقولون عنه عادة أنه « عقلى » ولست أدرى معنى هذا اللفظ فى عرفهم . على أنهم إن كانوا يقصدون به أن التلميذ يستعمل فى دراسة الحساب عقله فى مدارسنا ، فلا بد أن يكون معنى العقل ضيقاً فى نظرهم ، لا يكاد يتعدى الذاكرة . إذ لا يلبث الولد أن يدخل المدرسة حتى يعلموه العد الى الألوف والملايين ، وهى فوق تصوره ، ثم الجمع والطرح ، ثم يحفظوه جدول الضرب . وهو لا يدرك لكل هذا معنى سوى أنها عمليات تعمل على الرموز الحسابية المعنوية . وعلى هذا الشكل تدرس الكسور ، فالنسبة والتناسب وماشا كلها . ولا يغرنا ما قد يدخله بعض المدرسين الحديثين فى دروسهم من وسائل الايضاح الحسية . فان الأمر لا يكفى فيه رسم أو حزمة من أعواد الكبريت يعرضها المدرس على تلاميذه بين آن وآخر ليوضح به قاعدة خاصة . بل يجب أن يكون أساس تعليم الحساب دراسة عملية مبنية على القياس تستغرق السنتين الاوليين من حياة التلميذ المدرسية فى المدرسة الابتدائية . وفى خلالها يتعلم التلميذ بطبيعة الحال العمليات الحسابية الأولية

ننتقل الى دراسة اللغة العربية ، وهى أداة هامة لتوسيع ميول

الطفل ، والانتقال به تدريجا من دائرة المحسوسات الى دائرة المعنويات ، ومن تجاربه الخاصة الى الذخر العام لقومه . أليس المعقول أن تبدأ دراستها من هذه التجارب الشخصية وتلك الامور الحسية التى هى كل عدته ؟ أليس الواجب علينا متى تعلم القراءة والكتابة أن ننتقل به الى مطالعة موضوعات ترتبط بالبيئة التى يعيش فيها ويفهمها والى حفظ قطع سهلة يجد فيها الغذاء المناسب لخياله المشتعل ، والى التدرب على التعبير عن مقاصده العادية بسهولة ؟ نعم هـذا هو الواجب ، فما هو الواقع ؟ الواقع أن جل الأهتمام فى دراسة اللغة العربية يوجه الى تعليم الولد قواعد نحوية هى فوق مداركه لأنها مبنيـة على الاستخلاص (abstaction) وتحفيظه قطعاً منظومة ومنثورة ليس فيها الا حكم جافة لا يستطيع عقله اهتضامهـا ، والى مطالبته بالكتابة فى موضوعات نظرية فلسفية ، بعيدة عن ادراكه وعن ميوله وعن حاجات البيئة التى يعيش فيها . والنتيجة أن الولد يكره دراسة اللغة وعلومها ، ثم انه لبعد الموضوعات التى يدرسها عن عقله يكتفى بالالفاظ فيحفظها ، ويتبادلها معلمه كتابة أو شفاها . والمعلم يظن أن الولد متى كرر أمامه قاعدة نحوية عويصة ، أو حكمة من حكم البلغاء ، وفسرها بألفاظ غير ألفاظها ، فهو يعى ما فيها

(يتبع)

اسماعيل محمود القبانى
المدرس بمدرسة اسيوط الثانوية